الحضور في الغياب
دراسة مقارنة لحركتي الإمام علي والإمام المهدي عليهما السلام
زمن غيابهما عن الحكم الظاهر

• د. أمجد حميد عبد الله الفاضل

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى في كتابه الكريم: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} (لرعد٧)– صدق الله العلي العظيم وصدق رسوله الكريم ونحن على ذلك من الشاهدين، وبعد:

فإن الله سبحانه قد أفاض علينا من نعمه ظاهرة وباطنة، وكان من نعمه أن عرفنا إمام زماننا وجعلنا من الشاهدين على كونه القائم بالحق، ولما منحنا سبحانه القدرة على البحث والتأليف، كان من الواجب تقديم المستطاع خدمة لقضية الإمام المهدي عليه السلام، الآخذ بالثار من طواغيت العصر، الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا، وكان مما وجدت وانا أقرأ السيرة الشريفة للناحية المقدسة، أن هناك تشابها بين إمامة كل من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والحجة المهدي عليه السلام، من حيث الغياب عن الحكم الظاهر رغم الاستحقاق، والعمل بالإمامة زمن الغيبة، وأحوال الناس، وتسلم زمام الحكومة والرئاسة وما مهد له من ظروف، ولعل زمن تسلم الحكم هو أيضا مما يظهر متناغما متشابها بين الإمامين المعصومين عليهما السلام، ولكني أفردت هذا البحث لمعنى حضورهما إمامين زمن غيابهما رئيسين قائدين، وأسميته (الحضور في الغياب)، مقارنا بين مدتي غيابهما عليهما السلام عن الحكم الظاهر، لعلنا نجد في مدتي الغياب لكل من الإمامين عليهما السلام ما يقودنا إلى معرفة السبل الكفيلة بتعجيل الفرج وإتمام ما على الناس من مهمة ما زالت عالقة ينبغي إنجازها تمهيدا للظهور المبارك، إذ ما دامت أسباب الغياب هي نفسها، فلابد أن تكون أسباب القيام نفسها أيضا.

وهذه الدراسة التي تمثل فصلا من فصول البحث الأصلي الذي مازلت أعمل لإنجازه، توزعت على ثلاثة مباحث، رصدت في الأول دواعي الحضور، وفي الثاني أسباب الغياب، وفي الثالث مظاهر الحضور في الغياب، وإني لأرجو بهذا العمل أن يوفقني الباري سبحانه لنصرة إمامي محمد بن الحسن المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه وسهل مخرجه ولعن عدوه، ونفعنا به، وجعلنا من أنصاره والمستشهدين بين يديه، إن الله بالغ أمره، وهو ولي التوفيق، وأسأله سبحانه أن يحفظ القائمين على خدمة قضية الإمامة لأمير المؤمنين عليه السلام وما ارتبط بها من لوازم لنظم أمر الأمة، ومن ذلك قضية نصرة المظلومين والمستضعفين في

الأرض، قضية الإمام المهدي سلام الله عليه، ويسددهم لما فيه مرضاته وصلاح المسلمين، إنه نعم المولى ونعم النصير، ولله الحمد من قبل ومن بعد.

المبحث الأول: دواعي الحضور

لقد أرسل الباري سبحانه رسوله بالحق من عنده، وجعله منذرا، وجعل من أهل بيته من يتولى الهداية: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلآ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} (سورة الرعد: ٧) — وقد نصب الرسول الأعظم ﷺ أخاه وابن عمه وصهره الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام هاديا خليفة من بعده وأخذ له البيعة من آلاف المسلمين الحاضرين في حجة الوداع عند غدير خم، على أنه أمير المؤمنين لا تنبغي لأحد غيره من بعده، حتى أن الباري سبحانه تعهد لرسوله الكريم ﷺ بأن يعصمه من الناس المعاندين لإرادة الله ورسوله إذ أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه أشفق منهم خيفة على مشروع الهداية العلوية، ولكن الباري سبحانه قد ربط بين تبليغ وجوب أمرة المؤمنين لعلي بن أبي طالب عليه السلام وبين تبليغ رسالة الإسلام السماوية وهذا يوضح جلالة قدر أمير المؤمنين عليه السلام من جهة، وعظمة دوره وخطره في تكوين العالم الإسلامي، وهذا ما وضحته الآية الكريمة التي نزلت لتأمر الرسول صلى الله عليه وآله بالتبليغ في حجة الوداع: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (سورة المائدة: ٦٧)- . ونجد أن نبي الرحمة ﷺ قد تعهد تبليغ رسالة أخرى لا تقل خطورة عن هذه، إنها بشارة الأنبياء والرسل، بشارة آل محمد، بشارة الصالحين والمظلومين والفقراء والمستضعفين، وأعني بذلك دولة قائم آل محمد صلى الله عليهم وسلم، الذي يملؤها قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا، روى أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلما وعدوانا، قال ثم يخرج رجل من عترتي أو من أهل بيتي، يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا "[1]، وهناك أحاديث كثيرة تستفيض بها الروايات بشأن البشارة بظهور القائم بالأمر عليه السلام، وفي ذلك مصداق لآي الذكر الحكيم، قال تعالى: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} (سورة القصص: ٥).

هذا ما ترتب عليه أن يكون حضور أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وحضور ولده الداعي بالحق الآخذ بالثار أمرا واجبا لدواعي مهمة وملحة نذكر منها:

١. تصديق النصّ: لقد نصّ القرآن الكريم على ضرورة عقد إمرة المؤمنين لعلي عليه السلام وأخذ البيعة له من المسلمين عامة في حياة النبي عليه وآله الصلاة والسلام، ومعلوم أن النص القرآني المقدس يمثل

---

١. ينظر: مسند أحمد: ٣/٣٦، ومثله أبو يعلى: ٢/٢٧٤، وابن حبان: ٨/٢٩٠—٢٩١، والحاكم: ٤/٥٥٧، ويراجع: المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، علي الكوراني العاملي، ط١، قم، ٢٠٠٦م: ١٧٥.

أعلى نص تشريعي في الإسلام وهو ملزم بأحكامه للمسلمين جميعا، وقد كان النص على أمير المؤمنين سلام الله عليه مجملا ومفصلا، فمن حيث الإجمال نجد النصوص الدالة على جليل قدره وضرورة توليه شؤون المسلمين من أجل حفظ بيضة الإسلام، ونسبة الكفر إلى من يمتنع عن الاهتداء بهديه عليه السلام ونجد ذلك في قوله تعالى:

{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (سورة المائدة: ٦٧) - كما نجد ذلك في الآيات التي تخص ذكر المؤمنين بالتقديم، وإذا كان المؤمنون مقدمين في هذه الآيات فإن أولاهم بالتقديم هو إمامهم وسيدهم وأميرهم علي بن أبي طالب عليه السلام، لذلك فإن كل آية تتحدث عن المؤمنين هي تشير أول ما تشير إلى الإمام علي عليه السلام أمير المؤمنين وقائدهم وسيدهم: وبذلك فهو أولى الناس بإبراهيم عليه السلام بقول الله تعالى: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ}(سورة آل عمران: ٦٨) ، وإن جهنم مصير من يتبع سبيلا غير سبيله عليه السلام بقول الله تعالى: {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا} (سورة النساء: ١١٥) ، وهو موكل من الله سبحانه لنصرة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وتأييده بقول الله تعالى : {وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} (سورة الأنفال: ٦٢)، والله سبحانه يدعو رسوله الأعظم إلى عدم الحرج أو الضيق أو الحزن لقلة المؤمنين، ويخبره أن في الله وفي علي كفاية فلا حاجة إلى الآخرين بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} (سورة الأنفال: ٦٤) ، وهو من الرسول والرسول منه فحين يتطلب من الله سبحانه إنزال السكينة تثبيتا للرسول صلى الله عليه وآله وسلم فإن عليا حاضر مشارك فيها بقوله تعالى: {ثُمَّ أَنزلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ} (سورة التوبة: ٢٦) ، وقد اشترى منه الله سبحانه كل ما لديه مقابل الجنة فهو مخلص لله بأمر الله وتقديره ومشيئته بقوله تعالى: {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (سورة التوبة: ١١١) وهو ظهير من الله للرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى على أزواجه فهو صالح المؤمنين في قوله تعالى: {إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} (سورة التحريم: ٤) .

إن النص على إمامة علي عليه السلام قد أتى مفصلا أيضا من قبيل بسط الحديث في القرآن الكريم بشأن صفاته وفضائله وأخلاقه ومكانته وهمته، مما يدلل على ضرورة حضوره إماما في العالم الإسلامي من أجل حل المشكلات الكبرى التي يواجهها، والتي لا تحل إلا بمثل تلك الفضائل، وتلك الصفات والأخلاق، وتلك المكانة الرفيعة والهمة العالية، وما أحوجنا اليوم إلى إمامنا علي عليه السلام ليشع نوره على ظلمات الواقع المرير، ومن تلك النصوص القرآنية المباركة نجد قوله تعالى الدال على كرم هذا الإمام العظيم :

{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ❖ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا } (٩) سورة الإنسان ، ونجد شجاعته الباسلة التي جعلت الباري سبحانه يكفي بها المؤمنين القتال يوم الأحزاب: {وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا} (٢٥) سورة الأحزاب – وهو عند الله عزيز مقرّب له مكانته العليا السامية، حتى أنه موصوف بأنه (نفس النبي) في قوله تعالى: {فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ} (٦١) سورة آل عمران، وهذا القرب من الرسول الأعظم ﷺ يدل على قربه من الله سبحانه، ومن الآيات الدالة عليه بصفة الهداية للارتباط بالله سبحانه، وفيها توبيخ شديد اللهجة لمن يعدل إلى غيره، أو يتخذ إماما هاديا غيره في زمنه، قوله تعالى: {قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} (٣٥) سورة يونس، وهذا التفصيل في الذكر المباشر لبعض الجوانب التي اختصت بها شخصية الإمام عليه السلام – مع التنويه إلى وجود عدد آخر من الآيات التي جاءت مباشرة، ووجود عدد كبير منها جاءت تذكر صفات الإمام بصورة غير مباشرة – إنما هو من أجل إبلاغ الحجة على الناس أن الله سبحانه قد اختار لكم إماما هذه صفاته، وفيها كل ما يلزم لسعادتكم ونجاتكم وفوزكم، في هذه الحياة الدنيا، وفي منازل الآخرة وصولا إلى حيث المستقر في جنة الخلد التي وعد المتقون .

أما فيما يتعلق بنص الحديث النبوي على إمامة علي عليه السلام وضرورة حضوره في الساحة العالمية للإسلام، فهي كثيرة أكثر من أن تحصى، أهمها وأشهرها وأكثرها خطورة كان حديث الغدير الذي سمي بذلك نسبة إلى مكان غدير اسمه (خم) حضره عشرات الآلاف من الحجيج في حجة وداع الرسول ﷺ، إذ أوصى إلى ابن عمه وصهره أمير المؤمنين علي عليه السلام بالخلافة من بعده، وأخذ له البيعة في حياته من عشرات الآلاف من المسلمين الحاضرين[٢]، وكان يوم الغدير عيد الله الأكبر، إذ لم يبق مجال للفرقة والاختلاف بين المسلمين، وعنده نزلت آية التبليغ المعروفة ثم بعدها نزلت آية إكمال الدين: { الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }المائدة٣، وهكذا يكون حضور الإمام عليه السلام بداعي تصديق النصّ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو الصادر عن الحقّ جلّ وعلا.

وفيما يتعلق بالنص الوارد بشأن الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه وسهل مخرجه، فقد روي عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام وروي عن النعماني عنه عليه السلام أن آية: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي

٢ . ينظر: الكافي: ١: ٥٢٩.وتراجع موسوعة الغدير للعلامة الأميني (رض) ففيها ما يستغنى به قوة وكثرة .

ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }النور٥٥، نزلت في علي وأولاده عليهم السلام، وأنها في ظهور القائم عليه السلام[٣]، وكذلك الآية الكريمة: {الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ }الحج٤١ - هي في المهدي عليه السلام وأصحابه، يملكهم الله مشارق الأرض ومغاربها ويظهر الدين ويميت البدع ولا يبقي أثرا للظلم، كما روي عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام[٤]، وكذلك الآية الكريمة: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ }القصص٥ – فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في معنى الذين استضعفوا: هم آل محمد يبعث الله مهديهم بعد جهدهم فيعزهم ويذل عدوهم[٥]، وهناك عدد آخر من الآيات الأخرى الدالة على ضرورة خروجه عليه السلام لإحياء الدين ونصرة المؤمنين، ولابد من حضوره سلام الله عليه تصديقا للنص القرآني المقدس.

وأما أهم نصوص الأحاديث الواردة في ضرورة إمامة المهدي عليه السلام فمما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم في مسند أحمد عن أبي سعيد الخدري: " لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلما وعدوانا، قال ثم يخرج رجل من عترتي أو من أهل بيتي يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا "[٦]، والأحاديث بهذا الشأن كثيرة ومنقولة في كتب الفريقين من رواة الحديث[٧]، ولاسيما ما ترويه كتب الخاصة، ومما نقلته كتب العامة نذكره للفائدة رغم الإطالة:

في غاية المرام عن أبي سعيد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يكون في أمتي المهدي عليه السلام إن قصر عمره فسبع وإلا فثمان وإلا فتسع، تتنعم أمتي في زمانه نعيما لم يتنعم مثله قط البر والفاجر، ترسل السماء مدرارا ولا تدخر الأرض شيئا من نبات.: يخرج المهدي (عج) وعلى رأسه غمامة فيها ملك ينادي هذا خليفة الله المهدي فاتبعوه. وفي الفصول المهمة لابن صباغ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: سيكون بعدي الخلفاء ومن بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الأمراء ملوك جبابرة، ثم يخرج المهدي عليه السلام من أهل بيتي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا. (وفيه) عن هارون العبدي قال: أتيت أبا سعيد الخدري فقلت له: هل شهدت بدرا؟ قال: نعم، قلت: أفلا تحدثني بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في علي عليه السلام وفضله؟ قال: بلى أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرض مرضه الذي فقد منها، فدخلت عليه فاطمة عليها السلام وأنا جالس عن يمين النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما رأت فاطمة عليها السلام ما برسول الله من الضعف خنقتها العبرة حتى بدت دموعها على خدها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت: أخشى الضيعة يا رسول الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا فاطمة إن الله اطلع على الأرض اطلاعة على خلقه فاختار منهم أباك فبعثه نبيا، ثم اطلع ثانية فاختار منهم بعلك فأوحى إلي أن أنكحه

---

٣. ينظر: الكافي: ١: ١٩٣. و إثبات الهداة: ١: ٨١. و تأويل الآيات: ١: ٣٦٨.

٤. ينظر: بحار الأنوار: ٢٤: ١٦٥. والمحجة: ١٤٣، وتفسير القمي: ٤٧: ٥١.

٥. ينظر: بحار الأنوار: ٥١: ٥٤. وغيبة الطوسي: ١١٣.

٦. مسند أحمد: ٣: ٣٦. وينظر: أبو يعلى: ٢: ٢٧٤. والحاكم: ٤: ٥٥٧.

٧. ينظر لمزيد من التوسع في البحث: المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي: ١٧٥ وما بعدها.

فاطمة فأنكحته إياك واتخذته وصيا، أما علمت أنك بكرامة الله إياك زوجك أغزرهم علما وأكثرهم حلما وأقومهم سلما فاستبشرت، فأراد رسول الله ﷺ أن يزيدها عن مزيد الخير الذي قسمه الله تعالى لمحمد ﷺ فقال لها: يا فاطمة، ولعلي ثمانية أضراس يعني مناقب: إيمانه بالله ورسوله وحكمته وزوجته وسبطاه الحسن والحسين وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر. يا فاطمة إنا أهل بيت أعطينا ست خصال لم يعطها أحد من الأولين، ولم يدركها أحد من الآخرين غيرنا، نبينا خير الأنبياء ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء وهو عم أبيك، ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث يشاء وهو جعفر، ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك، ومنا مهدي [هذه] الأمة الذي يصلي خلفه عيسى ابن مريم عليه السلام، ثم ضرب على منكب الحسين وقال: من هذا مهدي هذه الأمة. وعن الحمويني عن ابن عباس: قال رسول الله: إن علي بن أبي طالب إمام أمتي وخليفتي عليها بعدي، ومن ولده القائم المنتظر الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، والذي بعثني بالحق بشيرا ونذيرا الثابتون على القول بإمامته في زمان غيبته لأعز من الكبريت الأحمر. فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله وللقائم من ولدك غيبة؟ قال: إي وربي ليمحص الذين آمنوا ويمحق الكافرين، يا جابر إن هذا الأمر من أمر الله وسر من سر الله علته مطوية عن عباده فإياك والشك، فإن الشك في أمر الله عز وجل كفر. وعنه أيضا عن حسن بن خالد عن علي بن موسى الرضا عليه السلام: لا دين لمن لا ورع له، ولا إيمان لمن لا تقية له، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، أي أعملكم بالتقية، فقيل: إلى متى يا بن رسول الله؟ قال: إلى يوم الوقت المعلوم، وهو يوم خروج قائمنا، فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا. فقيل له: يا بن رسول الله ومن القائم منكم أهل البيت؟ قال: الرابع من ولدي، ابن سيدة الإماء، يطهر الله به الأرض من كل جور ويقدسها من كل ظلم، وهو الذي يشك الناس في ولادته، وهو صاحب الغيبة قبل خروجه، فإذا خرج أشرقت الأرض بنوره ووضع ميزان العدل بين الناس فلا يظلم أحد أحدا، وهو الذي تطوى له الأرض ولا يكون له ظل، وهو الذي ينادي مناد من السماء يسمعه جميع أهل الأرض للدعاء إليه يقول: ألا إن حجة الله قد ظهر عند بيت الله فاتبعوه فإن الحق فيه ومعه، وهو قول الله: {إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ} الشعراء٤، وعن تفسير الثعلبي في تفسير قوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ} الزخرف٦١، قال: ذاك عيسى ابن مريم. وروى ذلك جماعة. قال: وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة ومالك بن دينار وضحاك: وإنه لعلم للساعة، أي أمارة وعلامة. في الحديث: أن عيسى ينزل بثوبين مهرودين أو مصبوغين بالهرد وهو الزعفران[٨].

إن تضافر النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على ضرورة إمامة كل من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحجة المهدي المنتظر عليهما السلام يؤكد دون أدنى شك عظمة الدور الموكول إلى كل منهما، فأمير المؤمنين هو المؤسس لدولة الهدى، والمهدي هو القائم بأمر هذه الدولة، وكثيرا ما قرنت بينهما

٨. يراجع: إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب، الشيخ علي اليزدي الحائري، قم: ١٤٩ وما بعدها.

الأحاديث النبوية الشريفة، مما يستدعي العناية بهذه النصوص باعتبار أنها نصوص مقدسة تنقل إلينا الحقائق التي لا تعتورها الشكوك مما يوجب التعبد بهذه النصوص، وأعني بالتعبد بها أي جعلها موضع طاعة وامتثال لما جاء فيها من حقائق وأوامر ونواهي، ومن ذلك أنها نصوص توجب على كل من الإمامين والمجتمع المسلم في عصريهما الحضور الفاعل لإتمام دولة الإسلام، دولة الوعد الإلهي بالقسط والعدل، فضلا عن أن وجود مثل هذه النصوص المؤكدة لحقيقة الإمامة لعلي عليه السلام وأولاده المعصومين من بعده هي أمر عقلائي لازم لنفي العبث عن الواجب المقدس، فشريعة تمنى بكل هذه الأمثلة الفاشلة للدول التي أخرجتها، والقيادات التي أنتجتها هي بالتأكيد شريعة منحرفة عن الخط الإلهي، وإلا لكانت حققت مراميها في العدل والنجاة والفوز لكل الناس في الدنيا والآخرة، وهذا ما لم يتحقق بعد، فيستلزم ذلك وجود خط الإمامة، ووجود القائم بالحق ضرورة لإقامة العدل، تعالى الله عن الظلم وأهله علوا كبيرا.

٢. ضرورة إقامة العدل: إن من أهم الدواعي إلى حضور الإمامين في ساحة العمل المجتمعي هو داعي إقامة العدل، بل لعله أكثر الأسباب الموجبة للحضور، وأشهرها وأوسعها انتشارا واشتهارا، لأنه منصوص عليه بالذات.

إذ يروى عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قوله: " لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي، يملؤها عدلا كما ملئت جورا "[٩]، ومعظم الأحاديث المروية عنه وعن آل بيته صلى الله عليه وعليهم تنص على مهمة نشر العدل ومحق الظلم، ففيما يتعلق بزمن أمير المؤمنين عليه السلام فقد بلغ الظلم في الناس بعد الرسول الأعظم أنهم اختلطت عليهم سنن الله بسنن البشر، وبلغت بهم الفتنة قتل رؤسائهم وقتل بعضهم بعضا، حتى إذا جاء معاوية بن أبي سفيان ففعل ما فعل من فضائع الأمور وكبريات الجرائم المنافية للإسلام وباسم الإسلام! .. فقد اغتال الإمام الحسن عليه السلام مستعملا السم، بوساطة جعدة بنت الأشعث بن قيس التي كانت زوجة الإمام الحسن عليه السلام[١٠]، على الرغم من علمه أنه سيد شباب أهل الجنة بنص الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، كما عمد معاوية بن أبي سفيان إلى قتل كل محب لعلي بن أبي طالب عليه السلام، إذ " دعا بسر بن أبي أرطأة وكان قاسي القلب فظا سفاكا للدماء لا رأفة عنده ولا رحمة، فأمره أن يأخذ طريق الحجاز والمدينة ومكة حتى ينتهي إلى اليمن، وقال له: لا تنزل على بلد أهله على طاعة علي إلا بسطت عليهم لسانك حتى يروا أنهم لا نجاء لهم وأنك محيط بهم، ثم اكفف عنهم وادعهم إلى البيعة لي، فمن أبى فاقتله، واقتل شيعة علي حيث كانوا "[١١]، ثم أنه أحرق دار أبي أيوب الأنصاري[١٢]، وقتل الصحابي الجليل عمرو بن الحمق[١٣]، وقد جمع بين قبور المسلمين واليهود في مقبرة واحدة[١٤]، وقد مارس سياسة التجويع ضد

٩. ابن أبي شيبة: ١٥: ١٩٨. وينظر: مسند أحمد: ١: ٩٩.

١٠. ينظر: النزاع والتخاصم للمقريزي: ٣٦، ولابن كثير: البداية والنهاية: ٨: ٤٧، والمنتظم لابن الجوزي: ٥: ٢٢١.

١١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي: ٢: ٦.

١٢. م. ن.: ٢: ١٠.

١٣. ينظر: الاشتقاق للزجاج: ٤٧٤، والنزاع والتخاصم للمقريزي: ٥٦.

المسلمين عامة والصحابة المؤمنين خاصة فيما يشبه بالإبادة الجماعية عبر الحصار الاقتصادي الشديد[١٥]، وممن قتلهم معاوية بغير السم ظلما وعدوانا وهم من الصحابة مما يظهر حجم الظلم والفساد الذي انتشر في زمنه: عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة، ومحمد بن أبي بكر بن أبي قحافة، ومحمد بن أبي حذيفة، وعبد الرحمن بن عديس البلوي[١٦]، وتترى الجرائم الكبرى التي ارتكبها معاوية ضد الأئمة من أهل بيت النبوة عليهم السلام وأصحابهم وتابعيهم، وتتوالى الجرائم ضد الإنسانية وجرائم الإبادة الجماعية التي أمر بها وأوقعها بالمسلمين عامة، من أجل أن يحتفظ هو ومن معه من عقبه بالرئاسة ظلما وعدوانا، ومن أجل أن يحقق رغباته راح يسعى فسادا في الأرض، فهذا ديدنه وديدن آبائه، وهكذا فقد وضع معاوية ومن أعانه على الرئاسة عددا من السنن الظالمة التي أسست للظلم والعدوان والفساد في الأرض، وأصبح قتل المؤمنين من محبي الرسول الأعظم وآله صلى الله عليهم وسلم أجمعين سنة متبعة لطواغيت الأرض في كل العصور إلى يومنا هذا، وليس أدل على ذلك من جرائم الذبح التي يمارسها خوارج هذا العصر بحق زوار أبي عبد الله الحسين عليه السلام، أفليس من الضروري بعد كل هذا أن يقوم الإمام بالأمر؟ ... أليس حضور الإمامة واجبا في مثل هذه الأحوال من أجل إبطال الفساد وأهله ونصرة الحق وأهله؟ ...، ولذلك فقد وجب حضور كل من أمير المؤمنين والمهدي عليهما السلام لنشر القسط والعدل، بعد أن انتشر الظلم والجور.

٣. ضرورة الهداية لإتمام الحجة على الناس: إن داعي الهداية من الدواعي المهمة لحضور الإمامين في ساحة العمل الإسلامي لاسيما بعد تكاثر الفتن وتواترها، وقد وردت آيات قرآنية عديدة تحذر من الفتنة والانقلاب على الأعقاب، قال تعالى:

{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ }آل عمران١٤٤ – وهذا يقتضي أن يخلف الرسول الأعظم من يكون أمينا على الرسالة الإسلامية عالما مقتدرا مسددا، فالفتن قادمة ليس من داخل الأمة الإسلامية فقط بل من خارجها أيضا، قال تعالى: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ }البقرة١٢٠- والهداية تقتضي من الأئمة حضورهم وتقتضي من المسلمين اتباعهم وجوبا، بدليل قوله تعالى: {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً }النساء١١٥- وليس هنالك هدى إلا هدى الله ومن نصبه للهداية، وأما من يدعونها كذبا وزورا فليس لهم طاعة على الناس بدليل قوله تعالى: {قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ

---

١٤. ينظر: البداية والنهاية لابن كثير: ٧: ٢١٤.

١٥. ينظر: معاوية، عبد الباقي الجزائري: ٢٣٨.

١٦. للتوسع ينظر: معاوية، عبد الباقي الجزائري: وما بعدها ٢٣٩.

يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ }الأنعام٧١ - ، ونحن نلاحظ أن دين الله لم ينتشر بعد في الأرض كلها، بل إن أديانا كثيرة منتشرة أكثر منه، ومنها ديانات شرك وضلالة، على الرغم من قوله تعالى – وقوله الحق - : {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ }التوبة٣٣ - ، ونجد أن الوعد بإحباط أعمال الذين كفروا مقيد بسين الاستقبال في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ }محمد٣٢- ، وحين نعود إلى قوله تعالى: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ }الرعد٧ – نجد أن الآية الكريمة تؤكد مهمة الإنذار للرسول الأعظم محمد ﷺ، ومهمة الهداية موكولة للهداة الذين توضح الآية ارتباطهم بكل قوم مما يعني تعدد أدوار ووحدة هدف، وهذا ما نجده حين نتمعن في إمامة أهل البيت عليهم السلام وحضورهم امتدادا لحضور الإمام علي عليه السلام امتثالا لأمر نبي الرحمة عليه وآله الصلاة والسلام .

هذه أهم دواعي الحضور التي لا يمكن إغفالها، وهي كما رأينا تجعل من حضور الإمام ضرورة لابد منها . إن دواعي الحضور تجعلنا نطمئن إلى الحضور الكامل الفعال للإمامين عليهما السلام، ولكن الحقيقة التاريخية التي نعيش تداعياتها تؤكد أن كلا من أمير المؤمنين والمهدي عليهما السلام غاب عن الحضور الفعلي في رأس السلطة ابتداء، ولكل منهما مدة غياب، الأولى معروفة والثانية مجهولة، ويمكن التعرف على النتائج الناجمة عن غيابهما بوساطة النظر العميق والتحليل الدقيق، سواء من خلال النظر إلى دواعي الحضور، أو إلى أحداث التاريخ المؤلمة وما حفلت به من فجائع مدمرة وفتن مهلكة ومؤامرات مضلة، وهذا يجعلنا نبحث في دواعي الغياب وأسبابه على الرغم من أهمية الحضور للتعرف على الحكمة من وراء ذلك.

المبحث الثاني: أسباب الغياب

إن الله سبحانه خلق الإنسان ليعمر الأرض وينشر الصلاح، وبذلك يحقق عبادته التي تقتضي الخير كل الخير لبني الإنسان، ولأن هناك من بني الإنسان من جحدوا ولاية الله وأبوا أن يطيعوه في تحقيق العدالة وتنفيذ حقوق الإنسان، وواجباته التي شرعها الباري سبحانه لمنفعة الإنسان، فقد أوجب تعالى شأنه إمامة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، للقيام بمهمة قيادة الأمة نحو الصلاح والإصلاح، "لأن طبيعة البشر تهوي به إلى أسفل ولا يكفيها وجود شريعة محفوظة في الأسفار، بل لابد من تجسيد تلك الشريعة في إنسان يتمتع بتفوق تشريعي يعطيه صلاحية تطبيق الشريعة على الناس، إذ لابد لكل قانون من مطبّق نافذ الكلمة وإلا عاد القانون حبرا على ورق "[١٧]، ولكن عددا من الأسباب دعت إلى غياب الأئمة عن القيام بأعباء الإدارة المباشرة لشؤون الحياة، متمثلا بالغياب عن الحكم الظاهر، ومن هذه الأسباب:

١٧ . الفكر الإسلامي مواجهة حضارية، محمد تقي المدرسي: ٢٦٧ .

١. غلبة أهل الباطل: لم تكن الإمامة منصبا رئاسيا، وهي ليست ملكا ولا عطاء دنيويا يراد منه إغناء المنصَّب ملكا، ولذلك لم تكن الإمامة مفروضة بالقهر ابتداء، إذ " كما لم يشأ الله أن يكره الناس على الهدى في عهد الرسول إبقاء لهم على النعمة الكبرى الموهوبة لهم وهي نعمة الحرية، فكذلك لم يشأ أن يجبرهم على إتّباع الإمام جبرا .

وهكذا أبقى على الإمام الأخير صاحب الزمان عجل الله فرجه، إتماما لحجته على خلقه وتوفيرا لمنتهى ما يمكنهم أن يبلغوه من سعادة الدنيا والآخرة، غير أن الحكام شرّدوا الأئمة عليهم السلام وقتلوهم وأزالوهم عن مراتبهم ولم يستفيدوا من علومهم وكفاءاتهم، فكان مثل الأئمة بينهم كمثل سراج يطفئه طاغية فلا يستفيد منه الناس " [١٨].

وقد شاء الباري سبحانه أن تكون الدنيا دار بلاء يعمل فيها الناس بحريتهم تماما كما أن كثيرا من الأنبياء عليهم السلام لم يرد الله إجبار أممهم على إتباعهم، فكان أن غلب أهل الباطل بكثرة عددهم وكثرة أموالهم على أهل الحق، ثم إن في أهل الباطل جرأة على الله ورسوله بحيث هم مستعدون لفعل أية جريمة مهما كانت بشعة في سبيل الرئاسة والملك، في حين أن أهل الحق ينأون بأنفسهم عن الشبهات، ولا يقربون الحرمات، ويمتنعون عن خوض الفتن، بل إن من صفات الإمام الحق قطع دابر الفتنة، وتوضيح الشبهات، وتبيان سبيل الحق، وهذا ما يجعل الإمام مبتعدا عن سفك الدماء مثلا للحصول على القيادة، وإن حقن دماء المسلمين لمما يسرّ أهل الحق ولو كانت دونه الظلامة المؤلمة، وهذا ما شهده التاريخ فيما سجله من حوادث بدءا بأحوال المسلمين ساعة رحيل الرسول الأعظم ﷺ إلى بارئه سبحانه وما تلا ذلك، فلولا رغبة الإمام علي عليه السلام في حقن دماء المسلمين، ولولا تكالب أهل الدنيا عليها واستعدادهم لسفك الدماء من أجلها، لما غاب سلام الله عليه عن الحكم الظاهر بعد الرسول صلى الله عليه وآله مباشرة، وهو خير من يعبّر عن هذه القضية بقوله واصفا ضعف أنصاره وقلتهم وكثرة أهل الباطل وقوتهم وإيثاره للصبر ابتغاء مرضاة الله، من خطبة له تسمى الشقشقية إذ يقول سلام الله عليه: " فطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء يشيب فيها الصغير ويهرم فيها الكبير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهبا" [١٩]، فقد مثل عليه السلام قلة أنصار الحق باليد الجذّاء (المقطوعة) التي لا تمكن صاحبها من الصولة، أو إذا صال فإنه لا يحقق مراده، ومثل خياره الآخر بالصبر على داهية عظيمة تصيب الناس وتعميهم عن سبيل الحق، حتى أنها ليشيب فيها الصغير ويهرم الكبير من هولها وخطر أمرها، ويكدح فيها مؤمن – ولعله أشار إلى نفسه - عليه السلام، حتى يلقى ربه، والكدح العمل المنهك شديد الوطأة، فكان خياره عليه السلام الصبر ولكنه صبر يرافقه قذى العين، وتوسط الشجا (عظمة طائر دقيقة مدببة الطرفين) في الحلق، وهي صورة صعبة الاحتمال، شديدة الألم،

---

١٨ . م. ن.: ٢٦٧ – ٢٦٨ .

١٩ . نهج البلاغة: ج١ :الخطبة المعروفة بالشقشقية: ١٠ .

ولكنه اختار هذا المنحى لأنه أحجى، أي أقرب إلى الحجى (وهو العقل والحكمة)، وهذا من مقتضيات العدالة التي يتمتع بها سلام الله عليه، ولعلنا اهتدينا إلى نور هذه الحكمة فنوجزه بهذه الفائدة: لقد جنّب أمير المؤمنين عليه السلام أبناء الأمة اختبارا كانوا لاشكّ من الخاسرين فيه، وهو اختبار المواجهة مع الحق، ومحكّ الاختيار بين عليّ الذي يدور معه الحق حيث دار، وبين سواه، وهل سوى الحق إلا الضلال؟!، ولم يشأ سلام الله عليه أن يعرّض الناس للمواجهة معه، ويقينا لو شاء ذلك لأرغم الأنوف بسيفه، ولكسّر أصنام البشر كما كسّر أصنام الحجارة بعزمه، ولبسط يده على طول الدولة وعرضها بحنكته وحكمته وخبرته وعلمه، ولما استطاع أن ينجو أحد من حد سيفه إلا بالرضوخ له والإذعان بين يديه، ولكن حكمته اقتضت أن يتحمّل الظلامة هو وزوجه وولِدُه من بعده، بدلا من أن يشقى الناس بما لا يقدرون عليه من الصبر على البلاء ومكاره أنواع الابتلاء، فأية رحمة اتسع لها قلبك سيدي يا أمير المؤمنين؟ ..، وبأي ظلم جازتك الأمة بجهلها وشقائها! .

إن أمير المؤمنين عليه السلام لم يتمكن من تحشيد من يعينه لينهض بأمر القيادة والحكم الظاهر، ولم تكن الغاية أن يتولى الأمر فحسب، ولكن الأهم هو أن تعي الناس أهمية هذا التولي، والاعتقاد الثابت الراسخ بهذه الولاية، ومن ثم السير بهدى هذا الإمام، وهذا ما لم يتحقق، فكانت النتيجة أن تولي الحكم الظاهر لم يتحقق أيضا، فحركة المجتمع امتثالا لأوامر الله سبحانه الصادرة مع حججه الباهرة ودلائله الواضحة هي التي تستوجب الرحمة وتحققها، وعصيانهم مع علمهم هو الذي يجلب لهم النقمة، ويخطأ من يظن أن سنة الله سبحانه وتعالى غير ذلك، إذ يقول جلّ وعلا: { إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ }الرعد١١ ، فغاب أمير المؤمنين عن الحكم الظاهر والقيادة المباشرة بسبب قلة الناصر، ولم تجدِ كلُّ محاولاته لتجديد ما طمس من معالم الدين الإسلامي بسبب جهل القيادات وطغيانها، تلك التي تسلمت الحكم بالقوة والمكر بعد الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه وآله، وابتعاد الناس عن الهمّة في تنفيذ أمر الله، وهذا أيضا ما كان من سبب رئيس في غياب الحجة المهدي سلام الله عليه إذ لابد للحق من أنصار، عملا بسنة الله سبحانه وتعالى في التغيير، التي تعرضها الآية الكريمة .

لقد عانى الإمام المهدي سلام الله عليه من غلبة أهل الباطل على أهل الحق، فقد كان الطاغوت متحكما في أهواء الناس وتصرفاتهم، فقد تبنى الطاغوت تسمية الإسلام، ولكنه طرح مفاهيمه الخاصة تحت هذه التسمية، ولا أعتقد أن أحدا سيجد شيئا ذا بال إذا نحينا عن الطرح الطاغوتي لمعنى الإسلام نوازع الجاهلية وعداوة أهل بيت النبي عليهم صلوات الله وسلامه، فهما ركيزتان أساسيتان اعتمدتا لجعل الناس يؤمنون بالطاغوت على أنه الممثل الشرعي لحكم الله في الأرض، ثم بعد ذلك حصلت للناس الولاية للطاغوت متمثلة بالانصياع التام لأوامره، بل لقد بلغ الطاغوت الحاكم لدى بعض الناس مراحل متسافلة

في الضلالة مثل الاحتكام إلى الطاغوت بشأن أولياء الله!، أو حتى عبادة الطاغوت حتى قتال أولياء الله من أجله!.. [٢٠]، وإذا كان الطاغوت قد بلغ هذه المرحلة من الناس الذين.

{ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ } البقرة٩٣، زمن أمير المؤمنين عليه السلام فإن ذلك مازال جاريا زمن الإمام المهدي سلام الله عليه، فقد تكالب الأعداء على الأئمة وشددوا الخناق والتضييق عليهم وعلى أتباعهم، وأصبحت قضية الإمام الحسين عليه السلام قضية المظلومين والمضطهدين، وأصبح كل من يذكرها يعد عدوا للسلطان أمويا كان أم عباسيا أم غير ذلك ممن تبعهم، و "عندما اقترب تسلسل أئمة العترة عليهم السلام من الثاني عشر، تفاقم خوف السلطة العباسية ولهذا أجبروا الإمام علي الهادي وولده الإمام الحسن عليهما السلام على الإقامة في العاصمة سامراء(سرّ من رأى) التي كانت تسمى العسكر، فعرفا بلقب العسكريين، ثم بدا للخليفة العباسي أن يقتل الإمام الهادي عليه السلام وشدد الرقابة على ولده الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ثم قرر الخليفة بعده أن يقتله ليستريح منه ويمنع ولادة الإمام الثاني عشر الموعود حتى لا يكون زوال ملكهم على يده!، وليس بعيدا أن تكون السلطة هددت الإمام العسكري عليه السلام بالقتل إن هو تزوج، وكانوا يتصورون أنه سيتزوج إمرأة قرشية ليكون أولاده منها كما يفعل شخصيات قريش، لأن ابن الجارية ليس له تلك المكانة، لكن الإمام عليه السلام أعتق جاريته نرجس الرومية وتزوجها، وشاء الله أن يكون ولده المهدي عليه السلام منها "[٢١]، وهذه صورة من صور التضييق السلطوي، وهي كفيلة بأن تظهر لنا غلبة أهل الباطل زمن الإمام المهدي عليه السلام مما أوجب عليه الغياب عن الحكم الظاهر ومازال حتى كتابة هذه السطور ينتظر الفرج ونحن معه من المنتظرين نرجو الله له بالتعجيل والنصرة، ونسأل الله سبحانه أن يوفقنا لامتثال أوامره والانتهاء عن نواهيه، والالتحاق بركب سفينة النجاة.

إن غلبة أهل الباطل على أهل الحق، جعلت الغياب ضرورة عن الحكم الظاهر، من أجل أن يتم وعد الله سبحانه، بوجوب أن يكون التغيير نابعا من الناس أنفسهم بهمة تحركها القناعة التامة والإيمان الراسخ، فليس من العدالة في شيء قيادة الناس إلى الحق قسرا، لاسيما أنهم سيحاسبون على أعمالهم فيثابون ويعاقبون، وهذا يتطلب أن يكون عملهم حرا من دون إجبار الجهة التي ستحاسبهم فيما بعد، وهي جهة الله سبحانه وتعالى، ولابد أن يرى الناس عواقب أعمالهم في الدنيا قبل الآخرة، حتى إذا أيقنوا أن لا نجاة إلا مع آل محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين، توجهوا بأنفسهم وأموالهم لنصرة القائم بالحق، وتكون حينئذ دولة الحق استحقاقا واجبا للناس، وبذلك يتم الوعد الإلهي .

٢. مضلات الفتن: لقد كانت صورة الحال واضحة للمسلمين بعد أن أتم الله نعمته وأكمل دينه بتولية أمير المؤمنين وأخذ البيعة له من المسلمين عقيب حجة الوداع .

---

٢٠ . ينظر: مراحل الطاغوت، حاتم الحسني، مجلة سبيل: عدد ٩، ٢٠٠٨ م .

٢١ . المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٧٨٨ – ٧٨٩ .

ولكن الدسائس والمكائد التي بيتها الحزب القرشي، كانت كفيلة بحرف الناس عن جادة الحق واستمالتهم إلى أولئك الذين أسلموا لما لم يجدوا بدا من الإسلام وسيلة للعودة إلى السلطة مجددا، والإفادة مما قد توفره عقيدة الإسلام من تنظيم للناس وانتشار وتوسع، وسيطرة على الخلق، فقد " عرض النبي ﷺ وهو على فراش المرض على أمته كنزا لم يعرضه نبي على أمته أبدا!: أن تطيعه فيكتب لها عهدا وبرنامجا، ويضمن لها أن تكون على الهدى ولا تضل أبدا، وأن تكون سيدة الأمم إلى يوم القيامة! فواجهه عمر بن الخطاب ورفض ذلك، وأيده طلقاء قريش وكانوا كثروا في المدينة وصاحوا القول ما قاله عمر! لا تقرّبوا له دواة ولا قرطاسا، حسبنا كتاب الله، أي نرفض سنته ولا نريد أن يكتب لنا عهدا!، وقد دافع أتباع الخلافة عن موقف عمر ضد النبي ﷺ وما زالوا إلى اليوم! وقد رواه البخاري في ست مواضع من كتابه!، ومع أن الأمة رفضت أن تدخل في التأمين الإلهي لمستقبلها ووضعت نفسها عن علم وعمد وسبق إصرار في وسط رياح الضلال والفتن، فقد حرص النبي الرؤوف بأمته ﷺ على تحذيرها من الصراع وسفك الدماء على السلطة، كالحديث الذي رواه الطبراني في الكبير: ٢٢ / ٦٩، ومسند الشاميين: ٣ / ١٢٤، عن واثلة ابن الأسقع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تزعمون أني آخركم موتا! وإني أولكم ذهابا، ثم تأتون من بعدي أفنادا! يقتل بعضكم بعضا "[٢٢]، ونجد أن أمير المؤمنين سلام الله عليه يعبر عن هذه الفتن المضلة بقوله: " لقد تقمصها مني ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى، ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ الطير، فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء يشيب فيها الصغير ويهرم فيها الكبير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه"[٢٣]، ويقول عليه السلام واصفا ما مني الناس به من مضلات الفتن أيام ثاني خلفاء قريش: " فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلامها ويخشن مسها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس تقحم، حتى لقد مني الناس بتلون واعتراض وتخبط وشماس "[٢٤]، ثم إنه يُسأَل عن قتل ثالث خلفاء قريش بعد ثورة الصحابة عليه ودفنه في مقبرة لليهود فيقول: " لو أمرت به لكنت قاتلا، ولو نهيت عنه لكنت ناصرا، غير أن من خذله لا يستطيع أن يقول نصره من هو خير مني، ومن نصره لا يستطيع أن يقول خذله من أنا خير منه، ولكني جامع لكم أمره: استأثر فأساء الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، ولله حكم واقع في المستأثر والجازع "[٢٥]، وهذا يؤكد أن قتلة عثمان والمتخاذلين عنه خير من أنصاره، ويوضح حجم الفتن والضلالات التي محقت الأمة وأزلتها عن مكانتها السامية التي أرادها لها الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه وآله، فكانت تلك الفتن المضلة سببا في ابتعاد الإمام علي عليه السلام

٢٢ . لمعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ١٣١ – ١٣٢ .

٢٣ . نهج البلاغة: الشقشقية .

٢٤ . م. ن.

٢٥ . نهج البلاغة: الشقشقية .

عن القيادة وغيابه عن الحكم الظاهر، حتى أنه بقي كذلك إلى أن أيقن الناس بخلاصهم معه، ونجاتهم باتباعه، فتوجهوا إليه باختيارهم ومحض إرادتهم، وقد وصف حركتهم تلك بقوله: " فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إلي ينثالون علي من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم، فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون " [٢٦]، فكم كانت الفتن عاصفة بأهواء الناس!، وما على الإمام قيام إلا بشروط ومقدمات سيأتي ذكرها إن شاء الله في متن هذا البحث .

أما حين نأتي إلى زمن غياب الإمام المهدي سلام الله عليه، فنجد أن الفتن قد تناسلت وازدادت وضجت بالناس، حتى لقد ملئت الأرض ظلما وجورا لفرط البعد، عن الرسالة السماوية المتعلقة بالقرآن الكريم من جهة وبالعترة النبوية الطاهرة من جهة أخرى، وقد " اتفقت مصادر المسلمين كلها على أن مهمة الإمام المهدي عليه السلام أن يملأ الأرض قسطا وعدلا بعد أن تكون ملئت ظلما وجورا، وهذا بنفسه دليل على أن ظهوره عليه السلام يكون بعد فتنة عامة وأن الجبابرة قبله يملؤون الأرض ظلما وجورا، وامتلاء الأرض بالظلم مفهوم عرفي يصدق على أكثر عصور الأرض، فقد قال الله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }الروم٤١- أما في عصرنا فقد ظهر الفساد في البر والبحر والجو وامتلأت الأرض بالجور حتى غصت! "[٢٧]، ومن الروايات الثابتة بشأن الفتن آخر الزمان – وهي كثيرة – نجد: " عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أبشركم بالمهدي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما "[٢٨]، وهنا نلفت إلى واحدة من الفتن التي أفاد منها بعض الصحابة لتحقيق مآربهم، وصارت فيما بعد ملجأ للطواغيت إذ يرومون تسيير أهواء الناس حيث شاؤوا، إذ " لاشك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حذّر أمته من الفتن الآتية بعده، فقد أجمع المسلمون على ذلك ورووا أحاديثها، لكن جاء بعض الصحابة والرواة وطبقوها على رأيهم، وبذلك صارت أحاديث الفتن من الفتن!، وصار علينا أن نبحث عن رأي أهل البيت عليهم السلام للنجاة منها! فأبو موسى الأشعري أخذ يثبط أهل الكوفة عن الانضمام إلى أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل مع طلحة والزبير وعائشة .

والنعمان بن بشير الأنصاري والضحاك بن قيس الفهري وهما وزيرا معاوية، اختلفا مع بني أمية بعد موت يزيد بن معاوية، وبايعا ابن الزبير وحشدا جيشا لمحاربة الأمويين، وكان الضحاك واليا على دمشق والنعمان على حمص، فحاربهما مروان وقبائل كلب الشامية وقتلوهما واستعادوا السيطرة على الشام! .

---

٢٦ . م. ن.

٢٧ . المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ١٣٤ .

٢٨ . مسند أحمد: ٣: ٣٧ .

وأبو هريرة الذي كان مع معاوية ضد علي عليه السلام ثم مع بني مروان حتى غضبوا عليه في آخر عمره فكان يروي لعن النبي صلى الله عليه وآله لهم وتحذيره من فتنة أغيلمة قريش وحكم الصبيان! "[٢٩]، وقد استمرت الفتن المضلة تعصف بالمسلمين حتى لقد استغل كثيرون أحاديث الإمام المهدي، وادعوا المهدوية ومازالوا يفعلون، مما يؤكد أن الناس ليسوا على هدى، وليس عندهم إيمان بالحق الذي أفاض في توضيحه الله ورسوله وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام، وأنهم مازالوا مولعين بالسلطة، ومستعدين لسفك الدماء من أجلها، وتتصل الفتن المضلة بزمن الإمام المهدي عليه السلام، ويروى في ذلك " عن أبي سعيد الخدري قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله بلاء يصيب هذه الأمة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم، فيبعث الله رجلا من عترتي من أهل بيتي فيملأ به الأرض قسطا كما ملئت ظلما وجورا، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض "[٣٠].

إن سلسلة الفتن والاضطرابات كفيلة بجعل الناس يؤمنون بأنهم غير قادرين على النجاة إن هم اعتمدوا على غير الهداة المهديين من أهل البيت عليهم السلام، ولن تنتهي تلك الفتن ولن تهدأ الاضطرابات ولن تتبدد الضلالات إلا بتوجه الناس إلى إمامهم المنتظر بقلوب صادقة وبأعمال صالحة، فإنه ينتظر كما هم منتظرون، هو ينتظر الإذن الإلهي بالقيام، وهم ينتظرون طلعته البهية، ولكن سنن التاريخ تستوجب حصول الحراك الواعي اللازم من جهة المنتظرين لإنجاز الأمر .

المبحث الثالث: مظاهر الحضور في الغياب

إن غياب كل من الإمام علي عليه السلام أكثر من عقدين ونصف، والإمام المهدي عليه السلام أكثر من أحد عشر قرنا من الزمان، عن الحكم الظاهر لم يمنعهما من مزاولة نشاطات الإمامة ومهمات الهداية، وفعل الخيرات، ومساعدة الناس، على الرغم من ظلامة ضياع الحق وغصب الحكم، وقلة الناصر، وضيق الحال، واشتداد العداوات، وقد كثرت الروايات بإجماع المسلمين على أن عليا عليه السلام كان أيام غيابه عن الحكم الظاهر علما هاديا، وعالما قاضيا، وحكيما ناصحا ووليا مرشدا، ومن تلك النشاطات التي أوجبتها مسؤولية الإمامة:

١. الهداية وإسداء النصيحة: ليس من عادة أهل البيت عليهم السلام وهم الكرماء أن يبخلوا على محتاج بما عندهم، فكيف بهم والعطاء الذي تحتاجه الأمة هو ما عندهم من العلم والحكمة، والنصح والهدى؟ .

لذلك فقد عمل كل من الإمامين عليهما السلام في سنوات غيابهما عن الحكم الظاهر على هداية الناس وإسداء النصيحة، وممارسة القيادة الروحية والأخلاقية للأمة حتى لا تتعطل حدود الله، وحتى لا ينتشر الفساد، وذلك بقدر ما أتيح من فرصة، لأن السلطان الحاكم لم يكن يسمح بذلك إلا في حدود

---

٢٩ . المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ١٣٥- ١٣٦ .

٣٠ . م. ن.: ١٥٣ .

ضيقة، لئلا يفتضح أمره وينكشف عجزه، ومن ذلك أنه في زمن ثاني خلفاء قريش: " أتي بحامل قد زنت، فأمر الخليفة برجمها، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هب أن لك سبيلا عليها، أي سبيل لك على ما في بطنها؟، والله تعالى يقول: ألاّ تزر وازرة وزر أخرى، فقال عمر: لا عشت لمعضلة لا يكون لها أبو الحسن، ثم قال: ما أصنع بها؟، قال عليه السلام: احتط عليها حتى تلد، فإذا ولدت ووجدت لولدها من يكفله فأقم عليها الحد[٣١]، ولم يتردد أمير المؤمنين في إسداء النصيحة حتى لأعدائه من أجل أن ينتفع بالنصيحة الناس وتقام العدالة، ومن ذلك " أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى أبي موسى الأشعري أن ابن أبي الجسري وجد على بطن امرأته رجلا فقتله، وقد أشكل حكم ذلك على القضاة، فسأل أبو موسى عليا عليه السلام، فقال: والله ما هذا في هذه البلاد – يعني الكوفة وما يليها – وما هذا بحضرتي، فمن أين جاء هذا؟، قال: كتب إلي معاوية أن ابن أبي الجسري وجد مع امرأته رجلا فقتله، وقد أشكل ذلك على القضاة، ... فقال علي عليه السلام: إن جاء بأربعة يشهدون على ما شهد وإلا دفع برمته"[٣٢]، وهذا يؤكد - وأخبار كثيرة أخرى تروى – أن الهداية الحقيقية إلى النجاة، إلى العدالة، إلى الحق، هي مع الإمام المنصب من الله سبحانه، المفترض الطاعة، المعصوم عن الزلل والخطأ، وأنه يؤدي دوره حاضرا بإمامته، وإن كان غائبا عن منصب الرئاسة.

أما عن الإمام المهدي سلام الله عليه فإنه لم يكن يوجه الهدى والنصيحة إلى الحاكمين الذين اطمأن رؤوس القوم ومن أعانهم من الناس إلى طغيانهم وتبعوا ضلالتهم من دون رادع يمضي في أنفسهم لردعها عن الانحراف، ولكنه سلام الله عليه كان يوجه نصحه إلى سفرائه وعلماء شيعته ورواة حديثه، وهناك من الروايات الموثوقة ما يؤكد نصحه عليه السلام للناس مباشرة، فيما تقتضيه عدالة السماء وللمهمات من الأمور التي يعجز غيره عن تقديم المساعدة فيها، ومن ذلك توقيعاته الشريفة التي كان يقدمها لسفرائه الأربعة في غيبته الصغرى، وفيها من النصح والإرشاد والحكمة ما لا يخفى، ومن ذلك ما يروى من أجوبته على عدد من المسائل الشائكة والفتاوى الصعبة، وبها تبين الحق من الباطل، والهدى من الضلالة[٣٣]. وهو وإن كان غائبا في الظاهر، إلا أن له فائدة عظيمة للناس، وهدى لهم من الضلال، يروى " عن أبي عبد الله عليه السلام: أقرب ما يكون العبيد إلى الله عز وجل وأرضى ما يكون عنه إذا افتقدوا حجة الله فلم يظهر لهم، وحجب عنهم فلم يعلموا بمكانه، وهم في ذلك يعلمون أنه لم تبطل حجج الله ولا بيناته، فعندها فليتوقعوا الفرج صباحا ومساء. وإن أشد ما يكون غضبا على أعدائه إذا أفقدهم حجته فلم يظهر لهم، وقد علم أن أولياءه لا يرتابون ولو علم أنهم يرتابون ما أفقدهم حجته طرفة عين. وفيه: عن جابر الجعفي عن جابر الأنصاري أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله: هل ينتفع الشيعة بالقائم (عج) في غيبته؟ فقال صلى الله عليه وآله: إي والذي بعثني بالنبوة إنهم لينتفعون به، ويستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن جللها السحاب. أقول: التشبيه

---

٣١. الارشاد للمفيد: ٩٧ – ٩٨، وبحار الأنوار للمجلسي: ٤٠: ٢٥١.

٣٢. قضاء أمير المؤمنين للتستري: ٥١.

٣٣. ينظر: المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٨٦٥ وما بعدها.

بالشمس المجللة بالسحاب يومئ إلى أمور كما يستفاد من كلمات العلامة المجلسي (رحمه الله). الأول: أن نور الوجود والعلم والهداية يصل إلى الخلق بتوسطه عليه السلام، إذ ثبت بالأخبار المستفيضة أنهم العلل الغائية لإيجاد الخلق، فلولاهم لم يصل نور الوجود إلى غيرهم، وببركتهم والاستشفاع بهم والتوسل إليهم يظهر العلوم والمعارف على الخلق، ويكشف البلايا عنهم، فلولاهم لاستحق الخلق بقبائح أعمالهم أنواع العذاب، كما قال الله تعالى: {وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} الأنفال٣٣، ولقد جربنا مرارا لا نحصيها أنه عند انغلاق الأمور وإعضال المسائل والبعد عن جناب الحق تعالى وانسداد أبواب الفيض لما استشفعنا بهم وتوسلنا بأنوارهم، فبقدر ما يحصل الارتباط المعنوي بهم في ذلك الوقت تنكشف تلك الأمور الصعبة، وهذا معاين لمن أكحل الله عين قلبه بنور الإيمان. الثاني: كما أن الشمس المحجوبة بالسحاب مع انتفاع الناس بها، ينتظرون في كل آن انكشاف السحاب عنها وظهورها ليكون انتفاعهم بها أكثر، فكذلك في أيام غيبته ينتظر المخلصون من شيعته خروجه وظهوره في كل وقت وزمان ولا ييأسون منه. الثالث: أن منكر وجوده مع وفور ظهور آثاره، كمنكر وجود الشمس إذا غيبها السحاب عن الأبصار. الرابع: أن الشمس قد تكون غيبتها في السحاب أصلح للعباد من ظهورها لهم بغير حجاب، فكذلك غيبته (عج) أصلح لهم في تلك الأزمان، فلذا غاب عنهم. الخامس: أن الناظر إلى الشمس لا يمكنه النظر إليها بارزة عن السحاب، وربما عمي بالنظر إليها لضعف الباصرة عن الإحاطة بها، فكذلك شمس ذاته المقدسة ربما يكون ظهوره أضر لبصائرهم، ويكون سببا لعماهم عن الحق، وتحتمل بصائرهم الإيمان به في غيبته كما ينظر الإنسان إلى الشمس من تحت السحاب ولا يتضرر بذلك. السادس: أن الشمس قد تخرج من السحاب وينظر إليها واحد دون واحد، فكذلك يمكن أن يظهر عليه السلام في أيام غيبته لبعض الخلق دون بعض. السابع: أنهم كالشمس في عموم النفع وإنما لا ينتفع بهم من كان أعمى، كما فسر به في الأخبار قوله تعالى: {وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً} الإسراء٧٢، الثامن: أن الشمس كما أن شعاعها يدخل البيوت بقدر ما فيها من الروازن والشبابيك، وبقدر ما يرتفع عنها من الموانع، فكذلك الخلق إنما ينتفعون بأنوار هدايتهم بقدر ما يرفعون الموانع عن حواسهم ومشاعرهم التي هي روازن قلوبهم من الشهوات النفسانية والعلائق الجسمانية، وبقدر ما يدفعون عن قلوبهم من الغواشي الكثيفة الهيولانية، إلى أن ينتهي الأمر إلى حيث يكون بمنزلة من هو تحت السماء يحيط به شعاع الشمس من جميع جوانبه بغير حجاب. فقد فتحت لك من هذه الجنة الروحانية ثمانية أبواب، ولقد فتح الله عني بفضله ثمانية أخرى تضيق العبارة عن ذكرها، عسى الله أن يفتح علينا وعليك في معرفتهم ألف باب، يفتح من كل باب ألف باب. عن ابن عمير عمن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قلت له: ما بال أمير المؤمنين عليه السلام لم يقاتل مخالفيه في الأول؟ قال: لآية في كتاب الله عز وجل { لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} الفتح٢٥، قال: قلت: وما يعني بتزيلهم؟ قال: ودايع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين، [ومنافقين فلم يكن علي عليه السلام ليقتل الآباء حتى يخرج الودايع فلما خرج ظهر على من ظهر.وقتله] فكذلك القائم لن

يظهر أبدا حتى تخرج ودايع الله عز وجل، فإذا خرجت ظهر على من ظهر من أعداء الله عز وجل جلاله فقتلهم"[٣٤].

٢. قضاء حوائج الناس وحفظ حقوقهم: إن واحدا من مقتضيات الإمامة قضاء حوائج الناس وحفظ حقوقهم، حتى وإن لم يكن الإمام هو السلطان، وهذا يتطلب أن يكون المستفيد من قضاء الحاجة من علق قلبه بمودة أهل البيت عليهم السلام، وصفت نيته بالتقرب إلى الله بحبهم وطاعتهم.

وحين نأتي إلى أمير المؤمنين عليه السلام نجد أنه كان يقوم بالكثير من الأعمال زمن غيبته دون أن يستحقر عملا أو يضنّ بمساعدة، فقد عمل أمير المؤمنين عليه السلام على حفر الآبار لاستصلاح الأراضي للزراعة، نافعا الناس بعلمه عن أماكن المياه الجوفية الصالحة وكيفية استخراجها، فضلا عن قوته اللازمة لحفر تلك الآبار، كما أنه يتصدق على المحتاجين بما يستطيع من أموال ومقتنيات، فضلا عن حكمه التي يعلم بها الناس منافعهم، ومن ذلك أنه يحث على العمل والكسب الحلال، إذ يقول سلام الله عليه: " من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه "[٣٥]، كما أنه سلام الله عليه سنّ عددا من القوانين التي ضمنت العدالة وحفظ حقوق الناس والدفاع عنهم، ومن ذلك ما روي أنه سلام الله عليه أسقط الحدّ عن سارق الطعام في عام المجاعة إذ روي أنه قال: " لا يقطع السارق في أيام المجاعة "[٣٦]، ومن أبرز أعماله كذلك مقدار كبير من الأحكام التي أصدرها في زمن غيبته عن الحكم الظاهر عرفت بـ (قضاء علي عليه السلام)، وكثيرا ما ردد ثاني خلفاء قريش: لولا علي لهلك عمر!، فإن همّ الإمام هو مساعدة المحتاجين وحفظ حقوق الناس وإقامة شريعة العدل والإنصاف بينهم تحقيقا لسعادة الإنسان بطاعة الباري سبحانه وتعالى.

أما الإمام المهدي سلام الله عليه فقد تركزت أعماله – فضلا عن تولي قبض الزكاة والخمس وتوزيعهما– على الإفتاء في مسائل مستجدة زمنه، وأخرى سابقة مختلف فيها، كما تولى عملية الحفاظ على العلاقة بين ناحية الإمامة والناس عبر شدّ عزيمة المؤمنين والثناء عليهم، وفضح المنافقين وكشف خداعهم، وقد تولى سلام الله عليه محاربة الفتن وكشف الضلالات وتذكير الناس بأيام الله سبحانه، وإعدادهم ليوم الفرج والإذن بظهور الحق على الباطل بوساطة بث الأمل بقيام دولة الحق والتهيئة لنصرتها، وكان من توقيعاته سلام الله عليه: " عن إسحاق بن يعقوب قال: سألت محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه أن يوصل لي كتابا قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ فوردت في التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السلام: أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمنا فاعلم أنه ليس بين الله عز وجل وبين أحد قرابة، ومن أنكرني فليس مني وسبيله سبيل ابن نوح عليه السلام، أما سبيل عمي جعفر وولده فسبيل إخوة يوسف عليه السلام، وأما الفقاع فشربه حرام ولا بأس بالشلماب، وأما أموالكم فلا نقبلها إلا

٣٤. إلزام الناصب بإثبات الحجة الغائب: ٣٧٨.

٣٥. نهج البلاغة: قصار الحكم.

٣٦. الوسائل للحر العاملي: باب حد السرقة: الحديث ٣.

لتطهروا فمن شاء فليصل ومن شاء فليقطع، فما آتاني الله خير مما آتاكم. وأما ظهور الفرج فإنه إلى الله تعالى ذكره وكذب الوقاتون. وأما قول من زعم أن الحسين عليه السلام لم يقتل فكفر وتكذيب وضلال. وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم، وأما محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه وعن أبيه من قبل فإنه ثقتي وكتابه كتابي. وأما محمد بن علي بن مهزيار الأهوازي فسيصلح الله له قلبه ويزيل عنه شكه، وأما ما وصلتنا به فلا قبول عندنا إلا لما طاب وطهر، وثمن المغنية حرام، وأما محمد بن شاذان بن نعيم فهو رجل من شيعتنا أهل البيت، وأما أبو الخطاب محمد بن أبي زينب الأجدع فملعون وأصحابه ملعونون فلا تجالس أهل مقالتهم فإني منهم بريء وآبائي عليهم السلام منهم براء. وأما المتلبسون بأموالنا فمن استحل فيها شيئا فأكله فإنما يأكل النيران. وأما الخمس فقد أبيح لشيعتنا وجعلوا منه في حل إلى وقت ظهور أمرنا لتطيب ولادتهم ولا تخبث. وأما ندامة قوم قد شكوا في دين الله عز وجل على ما وصلونا به فقد أقلنا من استقال ولا حاجة في صلة الشاكين. وأما ما وقع من الغيبة فإن الله عز وجل يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ} - المائدة١٠١- إنه لم يكن أحد من آبائي عليهم السلام إلا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي. وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبها عن الأبصار السحاب، وإني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، فأغلقوا باب السؤال عما لا يعنيكم، ولا تتكلفوا علم ما قد كفيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فإن ذلك فرجكم. والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتبع الهدى "[٣٧]، ثم إنه بعد ذلك عليه السلام تولى ويتولى الكثير من الأعمال التي فيها قضاء لحوائج الفقراء والمساكين ماديا ومعنويا، ولكل بقدر ما يحتاج ويستحق، وفي ذلك من الروايات السالفة والقصص الحاضرة المعاصرة الكثير مما ينقله الثقات، ويحصل له الاطمئنان.

إن هذه بعض مظاهر حضور الإمامة في الواقع الحياتي المعيش للناس، مع غياب الرئاسة وتسنم مقاليد السلطة، وغيرها الكثير مما أثبتته كتب الحديث والأخبار، مما لا مجال لحصره، ولقد علم الناس في كل زمان أن لهم إماما مفترض الطاعة تجب موالاته، ومن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، ومن نعم الباري سبحانه على العالمين أنه جعل لهم أئمة يهدون إلى الحق وبه يحكمون وفرض طاعتهم وأوجب مودتهم ليعلم الناس لمن الفضل، وفيمن الهدى، وحسبنا الله على الحق كفيلا، وكفى بالعواقب حجة ودليلا، والحمد لله رب العالمين.

٣٧. كمال الدين: ٢: ٤٨٣. وينظر: إعلام الورى: ٤٢٣، والاحتجاج: ٤٦٩: ٢، وغيرها من كتب الأخبار والحديث.

الإستنتاجات:

حتما بعض الخواطر ومزالق الفكر وادوات القهر التي كبلت الكتبة عن فحص محتوى وجوهر ومكنون علم الإمام علي ستطاردنا لنتساءل معكم كالآتي:

١. بأي منطق يكون قاتل الخليفة عمر رضي الله عنه كافرا وقاتل أمير المؤمنين علي مجتهدا غير كافر ويوثق كبار المحدثين مادحي قاتله شعرا؟

٢- هل يساعد على وقف السب الذي نذمه جميعا، التغافل عن من بدأ سب الصحابة وتبرأته بعد سبعين خريفا من لعن العترة على المنابر، أقره مسلم في صحيحه عن معاوية، فأي مكيال هذا؟

وختاما فإن مدرسة الإمام التي تجاوزت العنصرية التي كرسها الطغاة فاحتقروا الأعراق والأجناس غير جنسهم، هي ملاءة الحرية وفضاؤها لهذا الإنسان الذي خلق حرا، وتنزوي آفاق حامليه كلما انزوت مساحة الحرية.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.